أقبل أن أموت ألف مرة في المرحاض على أن أكون مخبرا خسيسا

HASSASSIN KING KONG OF MOROCCO 1973 1991 TAZMAMART.COM

لم يخبر علي البوليس بأن أمده بمعلومات عن لقاء قالوا إنه سيجمع بين زفيقين لي والأستاذ عبد الرحمن اليوسفي!

■ **وماذا بعد ذلك؟**

● عندما انصرفوا وبقيت لوحدي، أحسست بالوحدة. رفعت العصابة عن عيناي فوجدتني في زنزانة نافذتها عالية وبداخلها مرحاض. لم تكن في بشاعة زنازن تازمامارت، ولكنها زنزانة على كل حال..

بعد حوالي نصف ساعة، عاد اثنان منهم ورفعاني من كتفاي وذهبا بي إلى مكان آخر.. أجلساني على كرسي. وبعد خمس دقائق من الصمت، بدأ الاستنطاق المضني والشاق الذي خضعت له معصب العينين، والذي استمر على مدى حوالي اثني عشر (12) ساعة، كانوا يعيدونني عقب كل فصل من فصوله المتعبة إلى الزنزانة.

■ **ألم يقدموا لك أكلاً طوال اليوم؟**

● بلى. ولكنني رفضته..

■ **تحدثت في البيان عن نقلك إلى سجن فاخر، و...**

ج: أجل، فنصف مدة الاستنطاق تم هناك.. ذلك أنه حوالي الساعة الثامنة مساءاً، ونحن بالمكتب، بالمعتقل الأول، سمعت صوتاً، بدالي أنه صوت المسؤول الأمني الذي استنطقني يوم الأربعاء 95/7/1، يسأل من مسافة بعيدة عن مكان المكلف باستنطاقي:

- السي أحمد، كيف المعنويات؟

فأجبته:

- الحمد لله على كل حال.

فرد قائلاً:

«.. أعطيك كلمة شرف لمسؤول كبير يوفي بوعوده أن مشكلتك ستعرف طريقها للحل في القريب العاجل.. نعترف بأنك مهمش، ولكننا سنتدارك هذا الخطأ.. وكعربون على صدق ما أقول، سأنقلك من هذا المكان...»

وكذلك كان، إذ أخرجني إثنان وأركباني سيارة وقاداني إلى مكان اكتشفت بعد إزاحة العصابة عن عيناي أنه «سجن فاخر»

■ **مصنف؟**

● خمسة نجوم.. يبدو أنه سجن خاص لـ«الهاي كلاس».. هو عبارة عن «فيلا» مؤثثة تأثيثاً كاملاً، ما من عيب فيها سوى أن قضباناً حديدية مثبتة بشكل عمودي تخرق فضاء كل نوافذها الواسعة الأنيقة.

■ **وماذا جرى في هذا السجن المتميز؟**

● لقد تم استئناف الاستنطاق، ولكن بدون عصابة هذه المرة، إذ وجدتني وجهاً لوجه مع مستجوبي، وهو رجل في حوالي الأربعين من عمره محفر وجهه قليلاً من آثار الجدري، وبدا من صوته أنه نفسه الذي استنطقني في المعتقل الأول.

■ **وحول ماذا دارت الأسئلة هذه المرة؟**

● حول كل شيء.. من علاقاتي بالأصدقاء وببعض الهيآت حتى دراساتي التي استكثروا علي أني أتابعها بمثابرة في الكلية (السنة III كلية العلوم القانونية...) وصولاً إلى وضعيتي العائلية وحتى حياتي الشخصية والحميمية جداً.. وكلها مواضيع يضيق الحيز للتفصيل فيها هنا.

■ **ومتى انتهى الاستنطاق؟**

● حوالي الساعة الحادية عشرة والنصف. وقبل ذلك بحوالي ساعة ونصف، كان قد حضر الضابط الذي استجوبني يوم الأربعاء 95/7/12 رفقة مسؤول آخر جاء لأول مرة وألحا علي كثيراً أن أتناول العشاء، لكنني رفضت كما رفضت وجبة الغذاء (رغم جودة الوجبات) مصمماً على الإضراب عن الطعام احتجاجاً على اختطافي. ولما أمعنت في الرفض، شرعا يطرحان علي بعض الأسئلة..

وعند انتهائهم من حصة هذا اليوم، وقبل أن يهموا بالإنصراف، أمروا بإحضار الخياط الذي أخذ لي المقاسات بما في ذلك مقاسات القدمين. وجاءوني بسترة النوم وفوطة وحقيبة صغيرة (Trousse) بداخلها قطعة صابون وكل لوازم النظافة وودعوني بقولهم: إلى اللقاء! بعد أن كلفوا رجلاً بالاهتمام بي : هذا الرجل الذي أراني الحمام وسألني إذا أنا في حاجة لأي شيء، فطلبت منه الجرائد (التي أحضرها في الحين) لكي أقاوم الأرق..

■ **بماذا أوحى لك إحضار الخياط لأخذ مقاساتك ومدك بمواد النظافة؟**

● لقد شعرت باستنزاف معنوي رهيب. كنت متعباً جداً.. وكان تفكيري يتراوح بين تفسير إحضار الخياط ومواد النظافة بأن يكون ذلك مجرد إيهام للضغط المعنوي، القصد منه إشعاري بأن المكوث سيطول بي هناك، وبين الميول إلى أن الأمر سيكون بالفعل كذلك، إذ إن الذي لا يأبه بمستجدات الظروف الوطنية والدولية الراهنة ويقدم على الاختطاف، لن يأبه بأي شيء آخر...

هناك مسألة أخرى مفارقة وهي ثنائية «الداخل» و«الخارج» لدينا نحن مجموعة تازمامارت.. فعندما كنا بـ «تازمامارت» كنا دائماً نحلم ونقاوم المحنة بالحلم بالخارج وفضاء العائلة، في يقظتنا كما في نومنا... ولكن منذ خروجي (وهذا ما أكده لي كافة رفاقي الآخرين)، فإن كوابيس العودة لتازمامارت لا تفارقنا في أحلامنا عند النوم.

ففي ماراطون الزنزانة - قاعة الاستنطاق، قاعة الاستنطاق - الزنزانة، لا سيما عندما بقيت وحدي في غرفة النوم، وخلال الفترات المتقطعة للغفو، بين غفوة وغفوة (إذ كنت أستفيق على وقع خطوات حراس الفيلا الذين يتناوبون على الاطلالة علي بالغرفة في بهيم الليل)، استحضرت شريط الذكريات الأليمة بـ«تازمامارت» والتي قاومت (وجاهد معي د. المحترم الطبيب النفساني زيوزيو) لدفنها في أعماق لاوعيي... كنت أقول في نفسي بأن المنظمات الحقوقية ومناضلي حقوق الإنسان سيعلمون بالأمر ويقومون بواجبهم إزاء هذه المحنة الجديدة وإلا فهو الجزء الثاني من مسلسل «تازمامارت» الرهيب.

■ **كان فضاء العائلة سلاحاً لمقاومة المحنة وحلماً مستحيلاً وتحقق. بماذا أحسست وهم يقتلعونك، يوم اختطافك، من فضاء وحميمية العائلة؟**

● لقد أحسست بالفضيحة. فقد جاء عندي، لحظة الاختطاف، ثلاثة أشقاء مع أسرهم لصلة الرحم معي ومع الوالدة التي لا تفارقني منذ عودتي بعد 20 سنة من الفراق المرير، جاء أحدهم من أحد أحياء سلا والثاني من غفساي والثالث من خنيفرة، فأُرغِمْتُ على مغادرتهم وتركهم بالمنزل. صحيح أنهم عرفوا كلهم سبب المغادرة إلا الوالدة (75سنة) التي أوهموها في العائلة بأني ذهبت إلى الدارالبيضاء بقصد العلاج، لأن الأطباء حذروا من أنها - لشدة مرضها بالقلب - يمكن لأقل صدمة، أن تموت.. لم تفهم ولم تتفهم الوالدة، مع ذلك، معنى «تركي» لإخواني الضيوف، واستغربت هذا التصرف الذي ليس من أخلاقي. ويا ما لامتني وغضبت علي بعد عودتي لا سيما وأن أحد إخوتي رجع إلى غفساي غاضباً مما لحقني من متاعب جديدة حسبته الأم غضباً احتجاجيا على مغادرتي لهم وتركهم بالمنزل واستثقالي لزيارتهم...

(...) لا بل إن الأمر لم يقتصر على أفراد عائلتي (بمن فيهم الأطفال الذين يعنفون من طرف المقدم وقائد المقاطعة التي أقطن بها) وإنما تعداه للجيران الذين يتم الاتصال بهم هاتفياً لإزعاجهم بالاستفسار عني ولأمرهم بالاتصال بي من حين لآخر قصد إبلاغي عدم مبارحة منزلي حتى يحضرون... الخ.

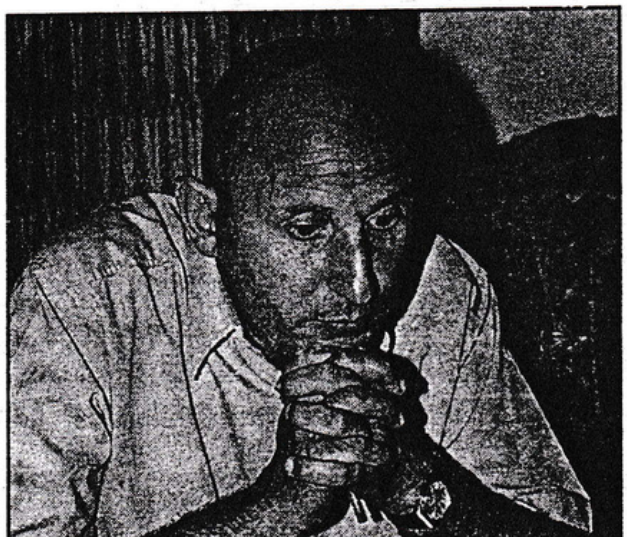

■ طيب. قضيت إذن ليلتك، كما قلت، مع كوابيس العودة إلى «تازمامارت» فما...

● بعد يوم مضن من الاستنطاق القاسي.. وكنت كلما استفقت من كابوس، وقبل أن أستسلم للكابوس الموالي، أفكر ملياً لعلي أهتدي إلى تفسير مقنع ببرركل هذه التعسفات.. بقيت على هذا النحو حتى جاء المستنطق في الصباح الباكر...

■ وإلى ما اهتديت؟

● لقد بقيت في الحقيقة حائراً ..إنهم يتهمونني مثلاً بأنني أنوي تسريب أسرار الدولة إلى جهات أجنبية! وأنا كما قلت لهم ليست لدي أية أسرار حول الدولة لأسربها سواء قبل، أوخلال أو بعد تازمامارت، اعتباراً لموقعي ولرتبتي في الجيش حينها.. إنهم يسألون عن سر نجاحي في دراستي بكلية العلوم القانونية، وهذا ما لم أفهمه.. إن الدولة المسؤولة عن محننا لا تقبل بعلاجنا (وهو أضعف الايمان) وعندما دبرت أمري (بمساعدة أصدقاء فرنسيين غير مسؤولين بأية منظمة، تعرفت عنهم في إحدى المناسبات الفنية بالرباط وتعاطفوا معي) وأحرزت على فرصة للعلاج العام مجانا بفرنسا ونويت أن أغتنمها فرصة لأصل الرحم بأقاربي هناك، انتزعوا مني جواز سفري ومنعوني من حقي في التنقل والعلاج.. استكثروا علي أن أحوز جواز سفري كأي مواطن واستفسروني عن الذي ساعدني! على حيازته! أخذوا علي كوني لا أسكن في إقامة محترمة، وكأن الأمريبيدي فرفضت! أخذ وا علي ألا أتزوج، رغم أن وضعي غير المستقر لا يسعفني على الإقدام على مثل هذه المغامرة.. أخذوا علي أن تكون لي صداقات..إلخ. هذه وغيرها من الأمور هي التي أثاروها معي وهي لا تبرر التعسفات التي تعرضت لها.

■ قلت بأنك بقيت فريسة للأسئلة والاحتمالات السيئة حتى جاء المستنطق في الصباح الباكر.. فماذا جرى بعد ذلك؟

● قلت بأن المستنطق جاء في الصباح الباكر ومعه رزمة كبيرة من الصور الفتوغرافية المكبرة التي أخذت لكل العناوين وأرقام الهواتف المسجلة في مذكرتي التي سحبوها مني عند التفتيش. وشرع يسألني عن أصحاب العناوين وهوياتهم والروابط التي تجمعني بهم، وعن علاقتي ببعض المسؤولين في منظمة العفو الدولية الذين قاموا بزيارتنا وإسعافنا وعلاقتي بجملة من الأصدقاء مناضلي حقوق الإنسان بالداخل والخارج.. وعلى هذه الوتيرة القاسية، قضيت يوماً عصيباً من الصباح حتى بداية الليل..

وحوالي الساعة الثامنة والنصف جاء الرجلان اللذان بديا لي أنهما المسؤولان الرئيسيان عن هذا الاختطاف، فتكلما معي بمنطق «العصا والجزرة».. كلام خليط من الوعد والوعيد ... كلام ريعه ترغيب وثلاثة أرباعه ترهيب. فأهابا بي أن ألتزم الصمت وألحا على ذلك إلحاحاً شديداً مؤكدين أن مشكلتي ستعرف الحل في القريب العاجل، وأن ذلك رهين بصمتي وعدم إخبار أي أحد بما جرى لي طيلة اليومين.. أما إذا تكلمت في ذلك «... فإن يدنا طويلة تطالك اينما كنت وأنت تعرف ذلك..» يقول أحدهم في لغة صارمة.

وهكذا أركبوني في سيارة وأعادوني إلى منزلي حوالي العاشرة والنصف ليلاً، لأجد أسرتي في حالة فظيعة من التوتر والقلق... أعادوا إلي ما أخذوه مني ما عدا جواز السفر وشيك بمبلغ ألف فرنك فرنسي منحه لي صديق فرنسي كما أسلفت.

بعد يومين، أي يوم الإثنين، جاءوا ونقلوني مع والدتي إلى مستشفى ابن سينا قصد العلاج أو بالأحرى بقصد إضافة المرض، لأن عدد رجال الأمن الذين أحاطوا بنا جعلني أعتقد أنني أصبحت في عداد المعتقلين!

وعندما أرجعوني إلى منزلي، سافرت تواً إلى قريتي الصغيرة

أحمد المرزوقي مع والدته

إن أعز مابقي لي في هذه الدنيا هي أمي وهي تختزل بالنسبة لي كل معاني الوطن

(بوعجول) في نواحي غفساي لحضور جنازة إحدى قريباتي. وهناك استرحت بضعة أيام من تلك الملاحقات المستفزة التي تحصي علي أنفاسي(...) وبعد عودتي إلى سلا وجدت أحدهم بباب المنزل ينتظرني ليـ....

■ ماذا؟!

● نعم، وجدت أحدهم بباب منزلي ينتظرني ليقول لي إن رؤساءه بعثوه ليستطلع ما أنا بحاجة إليه، فأكدت له أني الح على استرجاع جواز سفري والشيك الذي أخذوه مني وتسوية وضعيتي تسوية شاملة طبق العهود والمواثيق التي قطعوها على أنفسهم. فذهب ليعود بعد أسبوع، وكررت عليه نفس الجواب على نفس السؤال. إلا أنه أضاف شيئاً جديداً هذه المرة حيث طرح علي سؤالا دقيقاً حول أصدقائي في المحنة الشيء الذي....

■ في حدود لا يسبب لك أي إحراج، هلاّ نورت المتتبعين حول نوع هذه الخدمات البوليسية التي جاءوا يطلبون؟

● لقد طلبوا مني معلومات عن لقاء قالو إنه سيجمع رفيقاي أعكاو عبد الله ومحمد الرايس بالأستاذ عبد الرحمن اليوسفي الكاتب الأول للاتحاد الاشتراكي

لقد أتضح مع هذا السؤال كل شيء. وكان ردي أن من مر بجحيم «تازمامارت» يفضل أن يموت ألف مرة في المرحاض على أن يكون مخبراً خسيسا على رفاقه في المحنة.

■ ألم تفكر في رفع دعوى قضائية للمطالبة بحقك وللشكاية من هذه التجاوزات؟

● (ضحك مرير).. وهل كانوا يجرؤون أصلاً على القيام بما قاموا به لو كانت هناك روادع وهيبة للقانون؟ ومع ذلك فإن الجمعية المغربية لحقوق الإنسان بناءاً على شكايتي قامت بكل الترتيبات لتسجيل دعوى في هذه النازلة. وسننتظر ما ستؤول إليه الأمور...

■ وما هي مطالبك الآن لعل نائباً من نواب الأمة يقرأ هذا الحوار فيطرحها على الوزير الأول؟

● أطالب باسترجاع جوازي والشيك الذي أخذوه مني وإيقاف المطاردة والملاحقة الاستفزازية اليومية وبتسوية وضعيتي تسوية شاملة.

■ تسوية شاملة بمعنى ماذا؟ فأنتم مجموعة تازمامارت لا تطالبون بالتسوية إلا إذا أرفقتموها بـ«شاملة». فماذا تقصدون بها بالضبط؟ وبالمناسبة أين وصلتم في مفاوضاتكم مع المسؤولين؟

● لقد سبق أن تمت تسوية وضعية بعض رفاقنا الذين قضوا معنا 10 سنوات قبل أن يخلى سبيلهم بسبب تدخلات أجنبية. وإذن، فالمنطق يقضي أن تعتمد مقاييس هذه السابقة. أقصد تسوية قضية (الإخوة بوريكات).. ولكننا لا ندخل في هذه المقاييس. فنحن نطالب الحكومة بالالتزام فقط بما سبق أن قطعته على نفسها في شخص وزيرها السابق في حقوق الإنسان د. عمر عزيمان، أقصد تعويضنا على الآلام الجسدية والنفسية والفكرية التي كنا عرضة لها خلال وخارج المدد المحكوم علينا بها من قبل المحكمة، تعويضنا عن المآسي الصحية والاجتماعية التي تمزق أفراد مجموعتنا الذين يوجد من بينهم من هم في حالات لا تصدق وبعاهات و إعاقات مستديمة، ك «الداودي وبين بين» و«العفياوي»... الخ وكذا حالة عاشور الذي اضطر لإعادة عملية جراحية على «المرارة».

بعد أن فشلت العملية الأولى التي أجراها بمستشفى الخميسات. جواز السفر.. السكن اللائق.. تحمل الدولة تكاليف علاجنا وهي التي تسببت في أمراضنا وعاهاتنا ومحننا. وللعلم، فإن عدداً من الرفاق جُنّت أمهاتهم كأم الأخ مجاهد من مكناس و أم صدقي بالبيضاء التي جنت هي الأخرى قبل وفاتها وأم أعكاو والذي لم يجد ما يداويها به حتى توفيت قبل أيام.. الخ.. الشغل بالنسبة للراغبين فيه والقادرين عليه وكذا تشغيل أولادنا.. الخ.

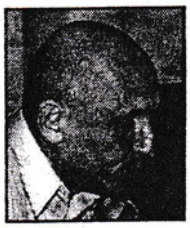

HASSASSIN KING KONG OF MOROCCO 1973 1991 AZMAMART.COM

■ تلك كانت التسوية الشاملة كما تطرحونها، فماذا كانت ردود الحكومة عليها؟

● لا. هذا هو الاتفاق بيننا وبين المسؤولين وليس المشكلة كما نطرحها نحن. أما أين وصلنا معهم، فإننا لا نزال نبارح مكاننا، إذ منذ ذهاب السيد عزيمان لم يعد لنا أي مخاطب في الحكومة ولم تعرف قضيتنا أي تقدم يذكر.. أما خلفه فإنه يرى الحل - كما أسلفنا - في الصدمات العاطفية، أي في التهديد والاختطافات، بل إنه استكثر علينا حتى حقنا في الحياة وفي الحرية.

■ ماذا؟!

● نعم. لقد قال لنا في لقاء معه، وبالحرف:

«... إن ما سبق أن وعدكم به عزيمان هو محض افتراء. كذب في كذب.. ليست لديكم أية حقوق.. لقد كان النقاش، قبل تحريركم، يجري بين طرحين: طرح كان يقول بهدم «تازمامارت» على من بداخلها! وطرح يقول بهدمها بعد تحرير من بداخلها، فغلبت رحمة جلالة الملك وأطلق سراحكم. فأحمدوا الله على أنكم لا ماتزالوان أحياء ترزقون و أحرار تنعمون بالشمس!»

■ السيد المرزوقي، نترك لكم الكلمة الأخيرة:

● إني أتساءل مع رفاقي، متى يتركوننا في حال سبيلنا فننعم - كسائر المواطنين - بالراحة والسكينة. إننا لا نواجه أحداً ولا نضغط على أحد. ولكننا لن نسكت.. لن تسكتنا الصدمات العاطفية ولا العاصفية ولن نكف عن القول بأننا ظُلمْنا، فنحن قال القضاء كلمته فينا. حُكمتُ ب 5 سنوات وقضيتُ 20 سنة في معتقل غير قانوني في ظروف وحشية لا يمكن تصورها، ويقال لنا بأن نحمد الله على أننا مانزال على قيد الحياة.

إن الذي يحيرنا هو تمادي المسؤولين في تهميشنا وتمديد مأساتنا، في حين أن المنطق السليم يفرض على الحكومة أن تحل المشكلة وتفي بوعودها فتريح وتستريح.

إننا مقتنعون بأننا لا نربح، ولا نطمع بأن نربح أي شيء، على حساب سمعة وطننا الذي لا نقبل بأن يزايد أحد علينا في غيرتنا عليه.

إن أعز ما بقي لي في هذه الدنيا هي أمي وهي تختزل بالنسبة لي كل معاني الوطن.